

# تاريخ «الصراع على السلطة في سوريا...»: أطلب القراءة المحايدة..

السيد / طلال سلمان  
رئيس تحرير جريدة «السفير»  
تحية طيبة وبعد،

اود أن ارد على رسالة السيد / عبدالله الاحمد في جريدة السفير في عددها الصادر في يوم السبت الموافق ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٩٥ حول كتابي الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة (١٩٦١ - ١٩٩٤) الذي قامت بنشره مكتبة مدبولي بالقاهرة في يناير (كانون الثاني) الماضي، والذي ظهرت منه الطبعة الثانية في يونيو (حزيران) الماضي. ورد في هذا لا يأتي بصفتي سفير هولندا في القاهرة - كما جاء برسالة السيد الاحمد. وإنما يأتي من منطلق شخصي تماماً، كما ذكرت في مقدمة كتابي: «ان وجهات النظر المطروحة في هذا الكتاب خاصة بالمؤلف ولا تمثل تلك الخاصة بوزارة الخارجية الهولندية».

وقبل ان ابدأ اريد ان اعبر عن تقديري للطريقة البناءة التي كتب بها السيد / الاحمد رسالته.

١ - يهتم السيد / الاحمد رسالته معبراً عن رغبته في ان اصبح يوماً ما سفيراً لبلادي في سوريا لتضع سوريا باقعة من الورد على ضريح الراحل لويس دوسان، الذي كان يرأس البعثة الدبلوماسية البلجيكية في دمشق حتى عام ١٩٥٨، وعاش فيما بعد في سوريا حتى توفي عام ١٩٩٤.

وانا لا ابوح بسر عندما اقول انني

تمنيت بصدق منذ بداية عملي بوزارة الخارجية في ١٩٧٥ ان يأتي تعييني يوماً ما في سوريا، فهي اول قطر عربي قمت بزيارته وتعرفت من خلاله للمرة الأولى على العالم العربي، وكان ذلك عام ١٩٦٤. وقد بهرتني حسن الضيافة وثرثرا اللغة والحضارة العربية ومودة هذا الشعب العربي، فلم اكف عن الاهتمام بهذا التراث العظيم حتى يومنا هذا. ويأتي كتابي عن سوريا نتيجة هذا الانبهار والولع بالعالم العربي، وليس كما يدعي البعض لإثارة الطائفية وغيرها من الولاءات البدائية. بل بالعكس، فهذه ليست الا محاولة لدراسة موضوعية لقضية حساسة للغاية بهدف التوصل الى جوهرها الحقيقي لا اكثر ولا اقل. اما اذا تحققت اميتي يوماً ما في ان اصبح سفيراً لبلادي في سوريا فلن اتمكن حينئذ من وضع باقعة ورد على ضريح السيد / دوسان كما يقترح السيد / عبدالله الاحمد، بغض النظر عن مدى مثالية آراء السيد / دوسان وتعاضده لبعض الحركات في العالم العربي.

فانا ارى شخصياً انه بإمكانني ان ارضى مصالح بلادي وكذا مصالح سوريا - او اي بلد آخر يتم اعتمادي سفيراً فيه - على اكمل وجه مع كوني مخلصاً تماماً لبلدي وحكومتي، وفي الوقت نفسه مع محاولتي تفهم البلد الآخر قدر المستطاع وذلك بهدف تعزيز المصالح المشتركة على اساس الاحترام المتبادل؛ اما الذين

يستقيلون او يقالون من مناصبهم بسبب ما يمكن وصفه بسلوك مثالي - كما حدث على ما يبدو مع السيد / دوسان - انما هم ينجزون القليل نسبياً على المدى الطويل؛ وكان الصراع على السلطة السياسية في سوريا الذي وصفته في كتابي مثلاً حياً يؤكد ان الذين في ذهنهم بعض المثاليات ولكن يتصرفون بقدر اكبر من العملية والواقعية هم في وضع افضل للاستمرار في التأثير على الاحداث من واقع مناصبهم الرسمية. ٢ - وللأسف، يبدو ان كتابي قد يفسر خطأ، كما يرى السيد / عبدالله الاحمد، الا انني اعتقد بأن هذا يتوقف على «المنظرة» التي يضعها القارئ على عينيه وما يتبيناه من آراء سياسية مسبقة قبل البدء في القراءة، أكثر من توقعه على محتويات الكتاب الموضوعية والتي اعتقد انها حسب تقديري لا تترك مجالاً للشك حول مغزاهما. وهنا اود ان استشهد بمقالة جاءت في جريدة القبس (٣٠ يناير / كانون الثاني ١٩٩٥) يتضح من خلالها امكانية قراءة كتابي من منطلق آخر غير ذلك الخاص بالسيد / عبدالله الاحمد والسيد / عماد فوزي شعبي، فهي تتضمن بعضاً من افكاري الرئيسية: «ويوضح الكتاب كيف تمكن النظام السوري الحالي بقيادة الرئيس حافظ الاسد من الانتقال بسوريا الى مرحلة من الاستقرار السياسي الذي مكنتها، بالتالي، من تثبيت التوجهات الوطنية والإصلاحية، داخلياً،

## نيقولوس فان دام\*

والتحرك باتجاه دور اقليمي متنام، خارجياً.

ويخفي المؤلف بأسلوب علمي موثق ان يكون النظام السوري نظاماً طائفاً على اعتبار انه استخدم عناصر قيادية بعينها لتجاوز الطائفية، وتثبيت اركان الدولة القومية NATIONAL STATE التي لا تخص طائفة دينية او عرقية معينة والانطلاق بهذه الدولة الى دور اقليمي رئيسي لم يكن متيسراً لسوريا قبل ذلك.

ويتقوم هذا كله على اسلوب براغماتي يضع نفسه في خدمة اهداف مثالية، اذ انه يستخدم ادوات ومعطيات الواقع لتجاوز هذا الواقع».

وبمعنى آخر تتلخص احدي النقاط التي يحتوي عليها الكتاب فيما يلي: اذا اراد نظام ما ان يحقق بعض المثاليات في مجتمع نام مثل سوريا، كإقلاع الطائفية والإقليمية والعشائرية وتحقيق وحدة عربية قومية، فإنه في حاجة الى اداة ثقة قوية لتحقيق هذا الهدف الطموح، والمعضلة هنا هي ان اداة القومية المطلوبة لا تكون موضع ثقة الا اذا استندت على القنوات الاجتماعية التقليدية وما يصحبها من ولاءات، علماً ان هذه الولاءات لا بد من قمعها فيما بعد، ومن ناحية اخرى، تتعرض هذه الاداة لضغوط نظراً لعدم امتثال الكل لمثاليات القادة، حيث نجد اشخاصاً يسعون للمصالح الشخصية وبغيرها من الانحرافات، وفي حالة حزب البعث قد يمكن تحقيق هذا التحول الاجتماعي الجذري الى حد كبير في ظل اقصى درجة من الانضباط الحزبي» والمشكلة المتبقية هي كيفية تحويل جهاز السلطة تدريجياً الى اداة تمثل المجتمع الحديث برمته بعد تحقيق السلطة الكاملة، وتتحاشي الوقوع في الحلقة المفرغة لعدم التمكن من التخلص تدريجياً من الهيكل البدائي للسلطة بعد الهيمنة الكاملة عليها.

٣ - ويتساءل السيد / الاحمد ما اذا كنت اعرف كتاباً غريبين حاولوا تحليل المجتمع الإسرائيلي بالاسلوب الذي اتبعته في تحليل سوريا في كتابي «الصراع على السلطة في سوريا». واعتقد بان معهد الدراسات الفلسطينية قد قام بنشر العديد من هذه الدراسات، وايضاً مجلة الدراسات الفلسطينية. اما انا فقد قمت بنشر نتائج أبحاثي حول الممارسات والسياسات الإسرائيلية لخلق أو الإبقاء على التفكك وأخل العالم العربي، مثل ما نشر في Asian Affairs تحت عنوان Israel

and Arab National Integration:

Pluralism Versus Arabism» والتي

نشرت باللغة العربية تحت عنوان  
«اسرائيل والاندماج القومي العربي»  
في مجلة مركز الدراسات  
الفلسطينية، Israeli Sectarianism،

Propaganda during the October,  
Muslim War 1973، التي نشرت في  
World.

الا انني ادرك من كلمات السيد /  
الاحمد ان سبب هذا التساؤل  
الافتراض انه لو كان الدارسون  
الغربيون قد ابدلوا نقداً عن اسرائيل  
مثل تقديم لسوريا افتراضياً  
لأصبحت الدراسات عن اسرائيل  
شائعة ومعروفة ايضاً. في البداية  
اريد ان اكرر ان الغرض من دراستي  
ليس موجهاً ضد سوريا في اي شكل  
من الاشكال بل بالعكس حاولت او  
اوضح انني احسب هذا البلد حياً  
متميزاً، وإذا فرضنا من الناحية  
النظرية، ان الغرض من هذه  
الدراسة هو موجه ضد سوريا (وهو  
ليس موجهاً الى سوريا على الاطلاق)  
اود ان اطرح على السيد / الاحمد  
السؤال المضاد (البلاغي) - وأنا لا  
اتوقع منه انه سوف يرد عليه - ولكن  
اطرحه لبلورة فكرة معينة: هل يعرف  
اي مواطن سوري اجري مثل هذه  
الدراسات حول اسرائيل؟ او انه يمكن  
انها قد تمت بالفعل ولم يتم نشرها  
لأسباب معينة؟ ما اريد ان اقله هو  
انه يتهم احياناً بعض الجهات  
الاجنبية غير العربية بأنها تبتعد عن  
بعض الاشياء بينما الجانب العربي  
نفسه قد ابتعد عنها ايضاً دون ان  
يعتبر ذلك تقصيراً وبالتالي جعل  
نقد الآخرين غير مقنع.

٤ - ويتساءل السيد / الاحمد عما

اذا كان الاستعمار الهولندي في  
اندونيسيا نوعاً من الاستعمار  
«التوحيدي» الذي ادى الى وجود  
الدولة الاندونيسية الكبيرة الحالية  
والتي تختلف عن غيرها من انواع  
الاستعمار التي كانت قائمة في  
العالم العربي والتي ادت الى  
تقسيمه الى وحدات مختلفة. وأنا لا  
اعتقد ان القوى الاستعمارية كانت  
تسعى لترك دول موحدة وقوية بعد  
انسحابها؛ ومن ناحية اخرى لا اظن  
ان حدود كل الدول العربية الموجودة  
حالياً هي فقط نتيجة جهود  
استعمارية لتقسيم الوطن العربي  
كما يلمح السيد / الاحمد، اذ انه بإلقاء  
نظرة على الاطلس التاريخي للعالم  
العربي والاسلامي تتضح لنا جلياً  
الفتترات والظروف النادرة التي  
شهدت وحدة في ظل قائد واحد قوي  
(مثلما حدث في ظل الامويين  
والعباسيين)، كما تتضح لنا الفترات  
التي شهدت العديد من الحكام العرب  
والاسلاميين كالايوبيين والفاطميين  
والحمدانيين والعثمانيين والمماليك  
الخ... (وبالمناسبة جدير بالذكر ان  
المدة التي حكم فيها الرئيس حافظ  
الاسد سوريا كانت اطول من اية مدة  
لن سبقوه من الحكام العرب الذين  
مقرهم دمشق منذ معاوية بن ابي  
سفيان).

• مستشرق هولندي - وحالياً سفير  
هولندا في مصر - كتب هذا المقال معبراً  
عن وجهة نظر شخصية.

غدا حلقة اخيرة